اهميّة ومُهِمّ وصنيع

الاهمية لفظة محدثة وردت في كتابات المتأخرين في القرنين الماضيين . ولعلها اول ما اتخذت في تعريب الكلمة الفرنسية importance . وكان يقال قديماً في معناها امر « ذو بال » اي يُبالى به ويُهتمّ به لقدره وعظمه ، وامر « ذو شأن » وهو كل ما جلّ وعظم من الامور والاحوال . قال عبد الملك بن عبد الحميد من ابيات في الهجاء :

الماء في دار عثمان لـه ثمن والخبز فيها له شان من الشان (١

ومن هذا الباب ايضاً قولهم امر ورجل « ذو خطر » اي له قدر ورفعة . قال قابوس بن وشمكير :

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا هل عاند الدهر الا من له خطرُ (٢

وهو اخفّ وارشق من لفظ « الخطورة » التي ولع بهـا الكتّاب اليوم ، وهي لم ترد في كتابات احد من فحول المنشئين المتقدمين . والخطورة مصدر خطر الرجل صار خطيرًا فلفظ « الخطر » اقعد في مكانها وادلّ على الاهمية ، واذا استعمل في معناها تعذّر جدًّا ان يلتبس بمعنـاه الآخر اي الخوف من العطب والاشراف على الهلاك .

وقد تحامى الكتّاب منذ سنوات استعمال لفظ « الاهمية » بعد شيوعهـا ورواجها ، وخفي علينا سبب اطّراحها هل هو لشك في توجيهها اللغوي ام لانكار نسبتها والحاق ياء المصدرية بها . ولا يبعد ان يكون اول جانٍ عليها المجمع العربي بدمشق ، حين عنّ له ان يستدرك على كتاب تذكرة الكاتب قولـه (التنبيه على اهم الغلطات) وعلّق عليه « ان اهمّ افعل تفضيل من فعل هته الامر اذا اقلقه واحزنه » (المجلة ، ١٩٢٤ ، ص ٢٦٠) ومثل هذا الانتقاد بلفظه وصورته تعزير للقراء وتضليل للآراء لان صفة اهم بمعناها المجازي كانت

١) وفيات الاعيان ٢ : ٤٦٠

٢) ارشاد الاريب لياقوت ٦ : ١٤٨

ذائعة متداولة منذ صدر الاسلام. قال الشابشتي :« كتب المأمون كتاباً بخطه الى عبد الله بن طاهر يُقسم عليه ان يحوّل مضربه من وجه بابك الى وجه خراسان فان خراسان اهم من المملكة كلها بعد الحضرة . فمضى لوجهه الى خراسان حتى وافى نيسابور وكتب الى المأمون : « اني وافيت نيسابور فوجدت حولها عشّ المارقة ووجدتها اهمّ الكُوَر والمهمّ ابدًا ابدى واولى» قال: فأعجب المأمون من الكتاب بهذه اللفظة ولم يزل الكتاب يتذاكرونها بينهم[1] » . « قال ابو علي محمد بن العلاء الشجري : « لما تقلد عبيد الله بن سليمان الوزارة للمعتضد رفع عبيد الله بن عبد الله بن طاهر اليّ رقعة سألني عرضها على عبيد الله بن سليمان فكان فيها :

اى دهرنا اسافنا في نفوسنا واسغنا في من نُجلّ ونُعظمُ
فقلت له نُماك فيهم أنسّها ودعْ امرنا ان المهمّ المقدّمُ[2]

وفي كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري « كان ابو العباس الطوسي يتعقّد في ختم الكتب فشكا يحيى بن خالد الى الرشيد تأخر الكتب فامره ان يكاتب العمال عن نفسه وامر كاتبه ان يكتب عنه في المهمّ » (ص ٢١٣ .

والشواهد على هذا الاستعمال اكثر من ان تعدّ فحسبنا ما تقدم منها.

واما الحاق ياء المصدرية بافعل التفضيل فقديم ربما سبق الاسلام سمع منهم في النسبة الى اول كما في البيت :

قضى هرم يوم المريرة بينهم قضاء امرئ بالاوليّة عالم[3]

وللفرزدق في مدح زين العابدين :

اىّ الخلائق ليست في رقابهم لأوليّة هذا او له نعم...
من يعرف الله يعرف اوّليّة ذا فالدين من بيت هذا ناله الامم[4]

ومثلها في كتب اللغة : الالمعية والاريحية . وفي اصطلاح المتأخرين : الافضلية ، والارجحية ، والاغلبية ، والاكثرية ، والاقلية ، وما اشبه فلا لوم ولا تثريب على من استعمل الاهمية اليوم .

١) كتاب الديارات ، برلين ، ٥٨ — ٥٩
٢) الديارات ، ٤٨
٣) البيان والتبيين للجاحظ ، المطبعة العلمية ، ٤٧
٤) الاغاني ، طبعة بولاق ، ١٤ : ٧٨

وللمهمّ في الدول المصرية معنى مُحدَث وهو اطلاق الكلمة على كل ما احتُفِل به من دعوة ووليمة واجتماع في الافراح والاحزان والمواكب والاعياد والاعمال السلطانية نذكر منها الشواهد الآتية بحسب تواريخها :

« في العشر من ذي الحجة سنة ٦٩٢ كان طهور السلطان الملك الناصر . . . وكان ذلك آخر فرح وهمّ عمله الملك الاشرف »[1] .

« سنة ٧١٣ ندب السلطان الامير بدر الدين بن التركماني لعمل جسور الجيزة وقناطرها واستدعى المهندسين . . . وخرج العسكر جميعه والامراء باضافيهم للعمل في ذلك فكان مهمّاً عظيماً »[2] .

« سنة ٧١٦ مرضت زوجة الامير طغاي فعادها السلطان مرارًا فلما ماتت نزل الامراء كلهم للصلاة عليها وعمل كريم الدين لها مهمّاً عظيماً »[3] .

« سنة ٧١٩ الملك المؤيد صاحب حماة . . . اركبه الملك الناصر في القاهرة بشعار الملك وآبهة السلطنة ومشى الامراء والناس في خدمته . . . وقام له القاضي كريم الدين لكل ما يحتاج اليه في ذلك المهمّ »[4] .

« سنة ٧٢١ ولد للسلطان من خوند طغاي ولد سماه انوك . . . فعمل السلطان عند ولادتها مهمّاً عظيماً للغاية »[5] .

« سنة ٧٣٢ كتب الى الامير تنكز نائب الشام ان يحضر ومعه نائب حماة لحضور مهمّ الامير انوك على بنت الامير بكتمر الساقي »[6] .

« سنة ٧٥٥ خرج السلطان الى ناحية سرياقوس على العادة ومعه والدته وحريمه وجميع الامراء . . . وعمل لخوند قطلوملك امه مهمّاً طبخ فيه الطعام بنفسه وكان مهمّ يخرج عن الحد في كثرة المصروف »[7] .

وعلم جرًّا وكان يقال قديماً في هذا المعنى « الصنيع » ورد في كلام الفصحاء

١) تاريخ حوادث الدهر وابنائه للجزري ، باريس ٦٧٣٩ ، ص ١٧٦
٢) السلوك للمقريزي ، خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ص ٤٣
٣) الكتاب المذكور ، ص ٥٠
٤) فوات الوفيات للكتبي ١ : ٢٠٠
٥) السلوك للمقريزي ، خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ص ٦١
٦) الكتاب المذكور ، خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ص ٩١
٧) السلوك ، خزانة باريس ١٧٢٧ ، ص ١٨

من الكتاب والشعراء. وهذه بعض الشواهد على استعماله نبدأ منها بقول ابي الفرج الاصبهاني :

« كان بعض ولاة الكوفة يذمّ الحيرة في ايام بني امية فقال له رجل من اهلها . . . ادعُ ما شئت من لذات العيش فوالله لا اجوز بك الحيرة فيه قال : فاصنعْ لنا صنيماً واخرجْ من قولك »[1].

وفي مروج الذهب للمسعودي :

« بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة . . . فامر بجمعهم اليه . . . فلما جمعوا نظر اليهم طفيلي فقال : ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع فدخل في وسطهم »[2].

وفي العقد الفريد لابن عبد ربّه :

« اقبل طفيلي الى صنيع فوجد باباً قد أُرتج ولا سبيل الى الوصول فسأل عن صاحب الصنيع » (٢ : ٢٧٧) .

وفي نفح الطيب للمقري :

« دخل القاهرة ابو الحسن بن سعيد صاحب كتاب المُغرب في حلى المغرب فصنع له ادباؤها صنيماً في ظاهرها » (١ : ٤٥١) .

« حُكي ان الناصر لدين الله لما اعذر لاولاد ابنه ابي مروان عبيد الله اتخذ لذلك صنيماً عظيماً بقصر الزهراء » (١ : ١٧٥) .

للوزير الجزيري من قصيدة :

وانى الصنيعُ نحين تم تمامه في السحر انشا رَدْنه بتدفُّقِ

« وكان السبب في هذه الابيات ان المنصور صنع في ذلك الاوان صنيماً لتطهير ابنه عبد الرحمن وكان عام قحط . . . فلما كان يوم ذلك الصنع نشأت في السماء سحابة عمت الافق ثم اتى المطر الوابل » (١ : ٢٤٨) .

« قال ابن الاحمر : وانشد ابن زمرك في الصنيع المخصوص بعمنا الامير ابي عبدالله :

ولما دعوت الناس لخير صنيعه اجابوا لهم من جانب الغور داعيا (٤ : ٢٠٢ و ٢٠٧)

---

١) الاغاني ، طبعة الدار ، ٢ : ٢٥١

٢) حاشية نفح الطيب ، ٣ : ٢٧٦